من أسرار التعبير القرآنى
لسورة (الفجر)

بقلم

د. أسماء السيد السيد شعبان

المدرس بقسم البلاغة والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

بنات الإسكندرية

المقدمة

اللهم إنى أعوذ بك أن أقول حول كلامك كلمة لا ترضاها وأبرأ إليك من كل زلة غفل عنها القلب، أو طاش بها الرأى. وأتقرب إليك بكل كلمة كشفت لقارئها معنى من معانى قرآنك، فنزلت منه منزلاً حسنًا، وفتحت أمام أفقه نافذة من نوافذ كلامك الأسنى.

وأشرع إليك يا رحمن أن تجعل قلمى وقلبى وفكرى ووجدانى وحياتى كلها خدمة خاشعة لهذا المصحف الشريف.

وأصلى وأسلم على حبيبنا ونبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته ومن سار على نهجه القويم ... وبعد ...،،

فهذا بحث [من أسرار التعبير القرآنى لسورة (الفجر)] أرجو أن يضيف جديدًا نافعاً إلى البلاغة القرآنية.

وكان من دوافع اختيارى لهذا الموضوع:

١- رغبتى الملحة فى الاتصال بكتاب الله ﷻ قراءة وفهمًا ودراسة وتدبرًا، ويالها من سعادة أن يعايش الباحث آيات ربه، ولعل هذه الدراسة المتواضعة تفتح مغاليق النفس لدراسات أوسع وأشمل متصلة بهذا الكتاب المعجز.

٢- وقع اختيارى على سورة (الفجر) – خاصة – فى العشر الأوائل من ذى الحجة لفضل قراءة هذه السورة فى هذه الأيام.

(عن رسول الله ﷺ: من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الأيام كانت له نورًا يوم القيامة)[1].

المنهج المتبع هو (المنهج البيانى التحليلى):

وقد تضمن البحث مقدمة، وتمهيد، وخمسة مقاطع حسب المعانى التى وردت فى السورة وخاتمة.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، ويهدينا سواء السبيل، إنه نعم المولى ونعم النصير.

(١) أخرجه الثعلبى والواحدى وابن مردوية: ينظر الكشاف ٤/٧٥٣.

التمهيد:

بين يدى السورة

سورةالفجر، مكية، وآياتها ثلاثون، نزلت بعد الليل وقبل الضحى، وترتيبها العاشرة فى عداد نزول السور.

وتتحدث عن أمور رئيسه وهى:

١- فضل الصلاة والدعاء فى الفجر، والليالى الفاضلة المباركة وهى عشر ذى الحجة، وقيل هى العشر الأواخر من رمضان لما فيها من ليلة القدر.

٢- ضرب المثل لمشركى أهل مكة فى إعراضهم عن قبول رسالة ربهم عز وجل، بقوم عاد وثمود وقوم فرعون، وإنذارهم بعذاب الآخرة.

٣- تثبيت النبى ﷺ مع وعده باضمحلال أعدائه.

٤- إن كثرة النعم على العبد ليست دلالة على إكرام الله له، وكثرة البلاء ليست دلالة على إهانته، بل الإكرام فى التوفيق للعمل، والإهانة فى الخذلان ونحو ذلك.

٥- ذكر الآخرة وأهوالها وشدائدها، وانقسام الناس يوم القيامة إلى سعداء وأشقياء، وبيان مآل النفس الشريرة، والنفس الكريمة الخيرة.(١)

وحين تضع (الفجر) بين أختيها (الغاشية) و(البلد) يظهر لنا أن لهذه السور الثلاث مذاهب ثلاثة وشخصيات ثلاثة وأبنية بيانية ثلاثة وأبنية فكرية ثلاثة، ومع ذلك تجد الترابط والتكامل فى أشياء كثيرة من ذلك

(١) ينظر صفوة التفاسير ٥٥٥/٣، والجواهر فى تفسير القرآن ١٥٤/٢٥، والتحرير والتنوير ٣١١/٣٠، ٣١٢.

أنها كلها مكية، وهى من قصار السور، والمحور الرئيسى لهذه السور هو" إثبات الألوهية والوحدانية لله تعالى، وصدق الرسول والرسالة.

فترى سورة (الغاشية) محورها الرئيسى هو "سوق الدلائل على وحدانية الخالق - ﷻ - كما ذكر فيها الحديث عن أهوال يوم القيامة، وما يلقاه الكافر فيها من العناء والبلاء والعذاب، ومن يلقاه المؤمن فيها من السعادة والهناء.

والتأكيد بأن رجوع الناس جميعها إلى الله تعالى للحساب والجزاء - قال تعالى: ﴿**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**﴾ "الغاشية ٢٥، ٢٦".

وترى أيضًا فى سورة (الفجر) ذكر أهوال يوم القيامة وشدائدها، وانقسام الناس إلى أشقياء وسعداء.

وبيان مآل النفس الشريرة، والنفس الكريمة الخيرة، غير أنه هنا ذكر من قصص الأمم السابقة قوم عاد وثمود وقوم فرعون ومصارعهم.

أما سورة (البلد) التى تلى (الفجر) فهدفها إثبات الوحدانية وصدق الرسالة والرسول، ففيها التذكير بالنعم التى أنعم الله بها على الإنسان، ودعوته أن ينظر فى نفسه.

قال تعالى ﴿**أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ. وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ. وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ سورة البلد (٨: ١٠). وذكر فيها التمييز بين الأبرار والفجار، وبيان مآل كل منهما فى دار الجزاء.

وافتتاح سورة (الفجر) مناسب لما قبلها، فقد أكد القرآن الكريم فى آخر سورة الغاشية أن - المرجع إلى الله بعد الموت والحساب، والجزاء

على الله بإن والتقديم الذى يفيد القصر، فناسبه الافتتاح بالقسم فى سورة الفجر وهو للتأكيد.

أما من ناحية الترتيب النزولى، فإن سورة (الفجر) نزلت بعد (الليل) وقبل (الضحى)، فترى التقارب بين هذه السورة الكريمة، إذ تعمل على جلاء المعنويات بماديات النور والظلمة، فى مختلف درجاتها على مدى اليوم الواحد، من غشية الليل وتجلى النهار، وإشراق الضحى وسجود الليل وتألق الفجر ومسرى الليل وتنفس الصبح.

وبتتابع الوحى بعد ذلك فيؤصل هذه الظاهرة البيانية فيما يجلو من معنويات الهدى والضلال بحسيات النور والظلام.(١).

وترى أيضًا أن السور الثلاث افتتح بالقسم، وذكر فيها الحث على الإنفاق وعدم البخل وخاصة إكرام اليتيم، والحض على إطعام المسكين، ابتغاء وجه الله ﷻ.

(١) ينظر التفسير البيانى، د. عائشة عبد الرحمن ٢/٩٧.

المقطع الأول

قدرة الله تعالى فى الحقائق الكونية

من أول السورة إلى قوله تعالى:﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾

١- ﴿وَالْفَجْرِ﴾

الفجر ضوء الصباح أول ظهوره فى سواد الليل ومنه يطلق على وقت ظهور هذا الضوء.

وبهذا المعنى ورد فى القرآن ست آيات:

القدر: "٥"، والبقرة: "١٨٧"، والإسراء: "٧٨"، والنور: "٥٨" وآية الفجر.

اختلف فى المراد (بالفجر) فقيل انفجار النهار من ظلمة الليل، وقيل صلاة الفجر، وكلا القولين له شاهد من القرآن.

أما انفجار النهار فكقوله ﴿**وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ**﴾ [سورة التكوير: ١٨].

وأما صلاة الفجر، فيشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقُرْآنَ الفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً**﴾ [سورة الإسراء: ٧٨].

ولكن فى السياق ما يقرب الرأى الأول.(١)

وأقسم به لأنه من الظواهر الكونية العجيبة التى تدل على قدرة الخالق العظيم، فتتنفس الحياة فى يسر، وفرح وابتسام، فهو انفجار الصبح الكاذب والصادق، وهو مظهر من مظاهر القدرة الإلهية، وبديع الصنع.

(١) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن، ٢٠٩/٩.

ومن انقضاء الليل، وظهور النهار، وانتشار الناس وسائر الحيوان فى طلب الرزق، وذلك كنشر الموتى من قبورهم بالبعث.(١)

٢- ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾

قيل هن عشر ذى الحجة، وذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر، (لأنها الاشتغال بالحج، لأن العمل فيها أحب إلى الله منه فى غيرها، فالفجر أول مظهر من مظاهر الحياة والعمل، وعشر ذى الحجة أوقات اجتماع المسلمين من أقطار الإسلام للتشارك فى الأعمال الشريفة، واتحاد الأمة والتعليم، فأول الأعمال من الفجر فى كل يوم وأشرفها ما به من اجتماع المسلمين لمصالحهم السياسية والدينية، الذى ينشأ عنه قوتهم، يهزمون أعدائهم، وهزم الأعداء بالقوة لا يكون إلا بالعمل والاتحاد وبذلك يخذل المعارضون كما خذلت عاد وثمود فالمناسبة فى المعنى واضحة بين هذه الآيات. وقيل العشر الأواخر من رمضان لما فيها من ليلة القدر.

والتنكير، لاختصاصها من بين الليالى بفضيلة ليست لغيرها، فلم يجمع بينها وبين البقية بلام الجنس أو تعرف بلام العهد، لأنه لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذى فى التنكير(٢).

لأن التنكير أدل على التفخيم والتعظيم بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾(٣).

وإطلاقها هكذا أوقع وأندى - فهى ليال عشر يعلمها الله، ولها عنده شأن، والتنوين فى (ليالٍ) للتعظيم - والأصل (ليالى) حذفت الياء للتخفيف.

(١) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم، ١٥٤/٢٥.

(٢) ينظر الكشاف للزمخشرى ٧٤٦/٤.

(٣) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن، للشيخ زكريا الأنصارى، /٦١٠، ٦١١، والآية من سورة البقرة/١٦٣.

٣- ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾

اللفظان يستعملان فى العربية للدلالة على العدد الزوجى والفردى، ومعنى الشفع لغة: ضم الشئ إلى مثله، ونقيضه الوتر، أى العدد المفرد لم يُشفع بعدد آخر.(١)

يقول صاحب الجواهر "الشفع والوتر" يدخل تحتها جميع الأعداد لأنها إما زوج وإما فرد، فالواحد أصل الأعداد كلها أزواجها وأفرادها، وهذه الآية من أكبر معجزات القرآن(٢).

وفى الحديث "إن الله وتر يحب الوتر" وما سواه شفع، كما فى قوله تعالى: ﴿**وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ**﴾(٣) "فهذا يشمل كل الوجود المخلوق، كما فى عموم قوله تعالى: ﴿**فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ. وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ**﴾(٤).

فأقسم تعالى بالزوج والفرد من كل شئ فكأنه تعالى أقسم بكل شئ، لأن الأشياء إما زوج وإما فرد، أو المراد الصلاة والعبادة، وهى تناسب هذا الجو المأنوس الحبيب.

وآل فى (الشفع والوتر) للعموم والاستغراق فيدخل فيها كل شفع ووتر، وفى الآية طباق يوضح المعنى ويميزه.

٤- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾

أقسم بالليل إذ يمضى بحركة الكون العجيبة، له هيبته وسكونه، والتقييد بسريانه لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفرة النعمة.

---

(١) ينظر التفسير البيانى للقرآن الكريم، ١٣٠/٢، د. عائشة عبد الرحمن.

(٢) ينظر الجواهر، ١٥٤/٢٥.

(٣) سورة الذاريات/ ٤٩.

(٤) سورة الحاقة/ ٣٨، ٣٩.

(وعطف الأعم على الأخص، أو عطف على الفجر بجامع التضاد[١]، ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ**﴾ كقوله تعالى: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ**﴾ التكوير/ ١٧.

و(يسر) أصلها يسرى حذفت الياء اكتفاء بالكسر وموافقة لرءوس الآيات، وللتخفيف لكثرة دورانه فى الكلام (وسأل المؤخر السدوسى الأخفش عن هذه الآية فقال: عادة العرب أنها إذا عدلت بالشئ عن معناه نقصت حروفه، والليل لما كان لا يسرى، وإنما يُسرى فيه نقص من حرف. كما قال تعالى ﴿**وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**﴾ [مريم/٢٨] الأصل (بغية) فلما حوّل عن فاعل نقص منه حرف.[٢]

وفى الآية مجاز عقلى، لأنه أسند الفعل لغير ما هو له فى الحقيقة، فالليل لا يسرى حقيقة وإنما يسرى الناس فيه وعلاقته الزمانية، وهو بقصد المبالغة، وهو مظهر من ثراء العبارة.

قال الشيخ عبد القاهر: ما من اسم حذف فى الحالة التى ينبغى أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره، وسمى ابن جنى الحذف شجاعة العربية لأنه يشجع على الكلام[٣].

وفيه تشخيص الليل والإشارة إلى فاعليته، بحيث يتمثل كائنًا حيًا يسرى، وفيه كذلك إلباس للحدث بزمانه، فالليل نفسه يسرى كما يسرى فيه كل سار بليل.[٤]

---

(١) التحرير والتنوير، ٣١٥/٣٠.

(٢) الاتفاق فى علوم القرآن ١٧١/٣، وينظر أحكام القرآن لابن عربى ١٩١٧/٤، وينظر من أسرار التعبير القرآنى الفاصلة القرآنية، د. عبد الفتاح لاشين/ ٢٨، ٢٩.

(٣) الإتقان فى علوم القرآن ١٧٣/٣.

(٤) التفسير البيانى، ١٣٣/٢، د. عائشة عبد الرحمن.

وأقسم تعالى بهذه الدلائل الخمس لبيان فضلها وعظمتها، والتصريح بأن الخالق لهذه الأشياء الظاهرة أمامنا هو القادر على إنزال العذاب بمن كفر به وكذب بالرسل، ولذلك أعقب بعرض مصارع بعض الأمم السابقة، ليكونوا عبرة وعظة لأهل مكة.

تقول بنت الشاطئ: (ونعود فنقول إن مثل هذا القسم بالواو فى القرآن الكريم ظاهرة أسلوبية عدل فيها البيان القرآنى بالقسم عن أصل استعماله الأول للتعظيم، لملحظ بلاغى، هو اللفت بالواو إلى واقع حسى مدرك لا مجال للمماراة فيه، توطئة للإقناع بما هو موضع جدل أو ارتياب، من المعنويات والغيبيات غير المدركة ..، ثم تقول "وبمثل هذا الأسلوب يبلغ البيان القرآنى غايته من الإقناع وتقرير الحجة، وعلى نحو ما يجلو معانى من الهدى والضلال، والإيمان والكفر والحق والباطل، بحسيات مدركة من النور والظلمة، يجلو فى سورة الفجر بالضوء والظلمة فى درجات متفاوتة، معانى من الحق والباطل: فالفجر إذ ينبثق نوره فتنسلخ ظلمة الليل، والهلال إذ يبزغ وليدًا إثر المحاق ويمضى رويدًا فى دحر الظلام. والليل إذا يسرى ما بين بدء الظلمة ومطلع الفجر، كل هذا بيان لافت إلى صراع الحق والباطل، وإلى انبثاق نور الهدى بعد أن غشيت ظلمة ليل طال، ضلت فيه أمم وطغى طغاة وأفسدوا فى الأرض، مثلما نشهد فى الواقع المحسوس مسرى الليل ما بين إدبار النهار ومطلع الفجر.

والقسم بالشفع والوتر فى هذه الصورة البيانية لافت إلى أن التقابل فى آيات الفجر وليال عشر والليل إذ يسر، هو موضع التنبيه والالتفات.[1]

(١) التفسير البيانى للقرآن الكريم، ١٣٦/٢.

وقسم الله تعالى متمحض لقصد التأكيد، ولذلك فالقسم تعريض بتحقيق حصول المقسم عليه بالنسبة للمنكرين، والمقصد من تطويل القسم بأشياء، التشويق إلى المقسم عليه[١]

٥- ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾

أى هل فيما ذكر من الأشياء قسم مقنع لذى لب وعقل؟ والمراد بالاستفهام التقرير[٢]، أى فليقر العاقل بعظمة هذه الأشياء حتى صلحت للإقسام بها، وكيف لا تصلح وفيها مبدأ الأعمال بذهاب الليل وابتلاج النهار[٣].

ويدل هذا على فخامة شأن الأمور المقسم بها، كأنه يقول إن هذا القسم عظيم عند ذوى العقول والألباب، لأن هذه الأشياء المقسم بها فيها من العجائب، والدلائل التى تدل على توحيده وربوبيته.

وجواب القسم محذوف تقديره: ورب هذه الأشياء ليعذبن الكفار وهذا رأى الزمخشرى والفخر الرازى يرى أن الجواب هو: إن ربك لبالمرصاد وما بينه وبين القسم معترض.

وترى بنت الشاطئ: بعد التعرض لكثير من الآراء، أن السياق ليس فى حاجة إلى تكملة أو جواب، لأن آيات القسم فى سورة الفجر، قد تم بها المقصود من اللفت إلى المقسم به، بما يغنى عن تأول هو جواب

(١) انظر التحرير والتنوير، ٣١٢/٣٠.

(٢) استفهام التقرير: هو حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده، وذهب كثير من العلماء إلى أن (هل) تشارك الهمزة فى معنى التقرير والتوبيخ، ونقل الشيخ أبو حيان عن سيبويه، أن استفهام التقرير لا يكون بهل إنما تستعمل فيه الهمزة، ثم نقل عن بعضهم أن (هل) تأتى تقريرًا كما فى قوله تعالى [هل فى ذلك قسم لذى حجر]، والكلام مع التقرير موجب، ولذلك (يعطف عليه صريح الموجب، ويعطف على صريح الموجب)، البرهان ٣٣٢/٢، وانظر الإتقان، ٢٣٦/٣.

(٣) الجواهر، ١٥٥/٢٥.

محذوف أو غير محذوف، وقد تمت آيات القسم بهذا السؤال الصادع: "هل فى لك قسم لذى حجر"[١].

وبجانب التقرير يفيد الاستفهام التأكيد ويحمل الاستفهام على وجه الإلزام بالمسئولية، فهو يجعل ذا الحجر فى موقف المسئول عما ينبغى أن يكون له من رقابة عقله عما لا يليق من سفه وغرور وعتو وطغيان وضلال[٢].

وعبر باسم الإشارة (ذلك) الذى للبعد للإيذان بعلو رتبة المشار إليه، وبُعد منزلته فى الشرف والفضل.

وأوثرت هذه الطريقة هضمًا للخلق، وإيذانًا بظهور الأمر.

وصيغة الاستفهام – مع إفادتها التقرير – أرق حاشية فهى تتناسق مع ذلك الجو الهامس الرقيق.

والتنكير والتنوين فى (قسم) يفيد تعظيم المقسم به أى قسم كاف ومقنع للمقسم به، إذا كان عاقلاً أى يتدبر بعقله.

(واللام فى قوله (لذى حجر) لام التعليل أى قسم لأجل ذى عقل، يمنعه من المكابرة، فيعمل أن المقسم بهذا القسم صادق فيما أقسم عليه)[٣].

وإنما سمى العقل حجرًا لأنه يمنع الإنسان من تعاطى ما لا يليق به من الأفعال والأقوال[٤]

(١) التفسير البيانى، ١٣٧/٢.
(٢) التفسير البيانى، ١٣٩/٢.
(٣) التحرير والتنوير، ٣١٧/٣٠.
(٤) ينظر تفسير ابن كثير، ٤٤٣/٤.

وجاء حجر لا لمجرد رعاية الفاصلة، بل اقتضاه معها ملحوظ معنوى من السياق، لأن فى الحجر يحجز صاحبه عن السفه والضلال، ويمنع من الغى والطغيان، ويميز بين النور والظلام.

المقطع الثانى

مصارع الغابرين من الأمم السابقة

من قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ ... إلى قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الآيات ٦: ١٤):

٦- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾

الخطاب للنبى ﷺ ابتداء ثم هو لكل من تتأتى منه الرؤية أو التبصر فى مصارع أولئك الأقوام.

والاستفهام هنا تقريرى تثبيتًا للنبى ﷺ، ووعدًا بالنصر، وتعريضًا للمعاندين بالإنذار بمثله، فإن ما فعل بهذه الأمم الثلاث، موعظة وإنذار للقوم الذين فعلوا مثل فعلهم من تكذيب الرسل، واستعمال صيغة الاستفهام هنا أشد إثارة لليقظة والالتفات. والرؤية فى (ألم تر) قلبية وليست بصرية، كأنه قيل أم تعلم علمًا يقينيًا كيف عذب ربك عادًا، أو من شابههم فيعذب كفار مكة كما عذب قوم عاد من قبلهم.

وإضافة الفعل إلى "ربك" فيها طمأنينة للمؤمن وأنس وراحة وبخاصة الذين كانوا فى مكة يعانون طغيان الطغاة، وتعسف الجبارين من المشركين الواقفين للدعوى وأهلها بالمرصاد. وعدل عن اسم الجلالة إلى التعريف بإضافة رب إلى ضمير المخاطب فى قوله (فعل ربك) لما فى وصف رب من الإشعار بالولاية والتأييد، ولما تؤذن به إضافته إلى ضمير المخاطب من إعزازه وتشريفه.(١)

(١) ينظر تفسير أبى السعود ٨٦٨/٥، و تفسير فى ظلال القرآن، وتفسير التحرير والتنوير ٣١٧/٣٠، ٣١٨.

علاوة على أن المقام هنا مقام تربية للخلق على طاعة الخالق، والذى يتلائم مع هذا المقام لفظ [رب] لما فيه من معنى التقويم والتربية.

٧- ﴿إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ﴾

عطف بيان لعاد، للإشارة بأنها عادُ الأولى، إرم يرجع إلى مجتمع عاد وثمود – فالقبيلتان تنسبان إلى (إرم)، وفيه زيادة إيضاح لقوم عاد.

"و﴿**ذَاتِ العِمَادِ**﴾ لقوتها وشدتها أى قد أهلك الله قومًا هم أشد من القوم الذين كذبوك، قال تعالى: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلاَ نَاصِرَ لَهُمْ**﴾. سورة محمد/١٣، وقال تعالى: ﴿**أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً**﴾[(١)] سورة الروم/٩.

وإطلاق العماد على القوة جاء فى قول عمرو بن كلثوم:

ونحن إذا عمادُ الحى خرت على الأحفاض نمنع من يلينا

(وذات العماد) كناية عن قوتهم وشدتهم، وهى صفة لإرم واللام للجنس، أى ذات الرفعة والثبات ومنه قول الخنساء:

طويل النجاد رفيع العماد ساد عشيريته أمردا

(ولم يرد لفظ "إرم" فى القرآن إلا فى هذه الآية من سورة الفجر، وهو فى القاموس واحد الآرام بمعنى الأعلام، وذكر المفسرون أن إرم، اسم قبيلة عاد أو هى بلدتهم، ونص الآية يقبل تفسير إرم باسم القبيلة أو البلدة، دون تزيد بتفصيلات أمسك القرآن عن ذكرها"[(٢)].

٨- ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي البِلادِ﴾

(١) تفسير التحرير والتنوير، ٣١٩/٣٠.

(٢) التفسير البيانى ١٤٤/٢.

صفة أخرى (لإرم) أى لم يخلق مثلهم فى عظم الأجسام والقوة.

و(ال) فى (البلاد) للعهد أى البلاد المعهودة لديهم، وكانت فى زمانهم، والمقصود فى ذلك تخويف أهل مكة بما صنع تعالى بعاد وكيف أهلكهم؟، وكانوا أطول أعمارًا، وأشد قوة من كفار مكة.

٩- ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾

ثمود: من العرب البائدة كذلك، وزمنهم التاريخى تال لعاد قوم هود، والصخر الحجارة العظيمة، وأوثر لفظ (جابوا) دون قطعوا يدل على الحسم والنفاذ، أما (جابو الصخر) فى سياق ما كان لثمود من قوة ومنعة، فقد نرى فيها خصوص الدلالة على المجاوبة فى القطع، بمعنى أن الصخر على صلابته طاع لهم واستجاب حين جابوه بالوادى)[١].

(وكانت ثمود تسكن بالحجر فى شمال الجزيرة العربية بين المدينة والشام، وقد قطعت الخصر وشيدته قصورًا، كما نحت فى الجبال ملاجئ ومغارات[٢].

ويكون بذلك القرآن الكريم قد ضرب لكفار مكة فى وسط الجزيرة مثلين:

أحدهما:(عاد) وكانوا يسكنون جنوب الجزيرة العربية ما بين اليمن وعمان.

ثانيهما:(ثمود) وكانوا يسكنون شمال الجزيرة العربية، وموضعه الآن على مقربة من (العلا) فى شمال المدينة المنورة.

وكلاهما أعتى قوة وأقوى بنية، ومع ذلك نزل بهم العذاب.

(١) الإعجاز البيانى للقرآن، د. عائشة عبد الرحمن، ص ٤٨٦.

(٢) فى ظلال القرآن، ٦/٣٩٠٤.

قال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ الجِبَالَ بُيُوتاً﴾ سورة الأعراف/٧٤.

وكانوا يعبدون الأصنام مثل عاد، وأصل (الواد) الوادى حذفت الياء تخفيفًا ولمراعاة الفاصلة القرآنية.

١٠- ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ﴾

وفرعون المشار إليه هنا هو فرعون موسى الجبار الطاغية، و(الأوتاد) وصف لكثرة جنوده وخيامهم، أو لتعذيبه بالأوتاد، أو جعل من جنود فرعون أوتادًا على سبيل التجريد، لأنهم يشدون ملكه، كما تشد الأوتاد الخيمة(١).

ويبين القرآن الكريم، ما لفرعون من قوة وجبروت فيقول تعالى: فى سورة (ص) ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ**﴾ آية/١٢.

ولم تأت الأوتاد معرفة، إلا فى هاتين الآيتين، (وصفا) لفرعون (ذى الأوتاد) ولعل التعريف فى (الأوتاد) يشير إلى أن المراد بها (الأهرامات) التى بناها الفراعنة فى مصر، والمشابهة بين الهرم والجبل واضحة، فالهرم جبل صناعى، والجبل هرم طبيعى، فالمشابهة إذن فى (الارتفاع والضخامة والرسوخ والإحكام)، ولقد صرح القرآن الكريم بأن الجبال أوتاد الأرض (والجبال أوتادًا). النبأ آية ٧، ولا جدال فى أن أهرامات الجيزة فى مصر كالجبال رسوخًا وضخامة وارتفاعًا، وهذه الحضارة الفرعونية القديمة يعرفها العالم بهذه الأهرامات، من أجل ذلك جاءت (الأوتاد) معرفة فى قوله تعالى ﴿**وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ**﴾، وهذا شاهد تارخيى بعظمة القرآن وبلاغته.

(١) البلاغة القيمة لآيات القرآن الكريم/٩٣، د. عبد القادر حسين.

(وجاءت نكره فى آية النبأ بيانًا لرسوخ الجبال وصلابتها، يقول تعالى: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً. وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً**﴾، (والجديد هنا هو وصف كل من عاد من أنها ذات العماد، ولم يخلق مثلها فى البلاد، وثمود أنهم جابو الصخر وفروع ذو الأوتاد)[١].

١١- ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي البِلادِ﴾

عبر بالموصول ليعم قوم "عاد وثمود وفرعون" أى أولئك المتجبرون الطغاة الذين عتوا عن أمر الله وجاوزوا الحد فى الظلم والطغيان.

وعبر بالماضى (طغوا) ليفيد تحقق وقوع هذا الظلم ومجاوزة الحدود، و(ال) فى (البلاد) للعهد أى فى هذه البلاد التى كانوا فيها، وعبر بحرف الجر (فى) فيفيد الانغماس والتمكين.

والطغيان تجاوز الحد، وأصل استعماله فى الماء يطغى فيغرق ومنه فى القرآن الكريم فى الطوفان: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ﴾.

ثم شاع استعماله فى كل ما جاوز الحد من جبروت العتاة ومنه فى القرآن الكريم خطابًا لموسى عليه السلام: ﴿**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾[٢].

يقال "فلان طاغ باغ وتمادى به الطغيان والطغوى وهو طاغية: جبار عنيد، وأطغاه ما له"[٣].

---

(١) أضواء البيان، ٩/٢١٥.

(٢) التفسير البيانى، ٢/١٤٨.

(٣) أساس البلاغة للزمخشرى/ طغى.

يقول الشيخ (سيد قطب) (وليس وراء الطغيان إلا الفساد، فالطغيان يفسد الطاغية، ويفسد الذين يقع عليهم الطغيان سواء، كما يفسد العلاقات والارتباطات فى كل جوانب الحياة. ويحول الحياة من خطها السليم النظيف المعمر البانى إلى خط آخر لا تستقيم معه خلافة الإنسان فى الأرض بحال)(١).

ولما كان الطغيان صادرًا من تلك الأمم فليس وراءه إلا الفساد قال تعالى:

١٢- ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفَسَادَ﴾

بسبب الكفر وانتشار المعاصى، والفاء تفيد سرعة انتشار هذه المعاصى نتيجة الطغيان فلما أكثروا فى الأرض الفساد، كان العلاج هو تطهير وجه الأرض من الفساد، فقال تعالى:

١٣- ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾

أى أنزل على كل طائفة من هؤلاء نوعًا من العذاب الذى يستحقونه بسبب الجورو الظلم وتفشى الفساد، فأهلكت عاد بالريح، وثمود بالصيحة، وفرعون وجنوده بالغرق. كما قال الله تعالى: **﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾** سورة العنكبوت/ ٤٠.

(وأصل الصب فى اللغة إراقة الماء ونحوه مع تدفق تصبب الماء وانصب فى الوادى انحدر ويطلق على ما يبقى منه: صبة وصبابة، ومن

(١) فى ظلال القرآن ٦/٣٩٠٤.

ثم تستعمل فى بقية الشئ المادى والمعنوى)[١]. ودخول الفاء على الفعل الماضى (فصب) تفيد السرعة فى تحقق الوقوع.

والتعبير (بالصب) أبلغ من (أنزل) للإيذان بكثرته واستمراره وتتابعه وسرعته فى النزول على المضروب.

فصور إلقاء العذاب عليهم بصورة الصب المنهمر على أجسامهم، فاستعمل الصب للإنزال. وتقديم الجار والمجرور (عليهم) تفيد التخصيص، وأن هذا العذاب خاص بهذه الأمم المكذبة الطاغية.

والتعبير بـ (رب) دون لفظ الجلالة (الله) يكشف عن معانى الربوبية والرعاية، فلا يظلم ولا يجوز على أحد، فكل شئ عنده بميزان.

وإضافة ضمير الخطاب إلى (رب)، والمراد بالخطاب الرسول ﷺ، فيه تسلية وطمأنينة وتشريف للرسول ﷺ.

وعبر بالسوط دون غيره، للإشارة إلى أن ذلك بالنسبة إلى ما أعد لهم فى الآخرة بمنزلة السوط.

وإضافة (سوط) إلى (عذاب) من إضافة الصفة إلى الموصوف – أى صب عليهم عذابًا سوطًا أى كالسوط فى سرعة الإصابة[٢].

(والتعبير يوحى بلذع العذاب حين يذكر السوط، وبفيضة وغمره حين يذكر الصب، حيث يجتمع الألم اللاذع، والغمرة الطاغية على الطغاة الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد)[٣].

١٤- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾

(١) التفسير البيانى، ١٤٩/٢.
(٢) التحرير والتنوير، ٣٢٢/٣٠.
(٣) فى ظلال القرآن، ٣٩٠٤/٦.

تعليل لما قبل، وأكد الجملة بإن والاسمية واللام الداخلة على الخبر لتأكيد هذا الوعيد، وأن الله يرى ويحاسب ويجازى وفق ميزان دقيق، لا يظلم أحدًا، ولا يأخذ بظواهر الأمور، ولكن يأخذ بحقائق الأشياء، وفى ذلك تهديد ووعيد لكفار قريش، وإرشاد إلى أن كفار قومه سيصيبهم ما أصاب أولئك الكفار.

والعدول عن ضمير المتكلم أو اسم الجلالة إلى (ربك) إيماء إلى أن فاعل ذلك ربه الذى شأنه أن ينتصر له، فهو انتصار المولى لوليه.

وقوله (لبالمرصاد) مرصاد: مفعال، وهو المكان الذى يترقب فيه الرصد كالميقات. وهذا تمثيل لإرصاده تعالى العصاة بالعقاب وأنهم لا يفلتون من عذابه، والمراد أنه لا يفوته أحد من الجبابرة الطغاة والكفار[١]. والباء هنا للظرفية.

"وهذا المثل كناية عن مجازاة كل عامل بما عمله وما يعمله، إذ لا يقصد الرصد إلا للجزاء على العدوان"[٢]، والتعريض بالتوعد بذلك من الجبابرة.

ويكشف لنا هذا المقطع عن حقائق منها[٣]:

١- الطمأنينه على القلب المؤمن وهو يواجه الكفر والطغيان فى أى زمان وأى مكان.

٢- إن ربك راصد لا يفوته شئ مراقب لكل إنسان، فليطمئن بال المؤمن، ولينم ملء جفونه، فإن ربه هناك بالمرصاد للطغيان والشر والفساد.

(١) ينظر تفسير الكشاف، ٧٤٨/٤، وتفسير أبى السعود، ٨٦٩/٥، وصفوة التفاسير، ٥٥٧/٣.
(٢) التحرير والتنوير: ٣٢٣/٣٠.
(٣) ينظر فى ظلال القرآن، ٣٩٠٤/٦.

وذكر هنا قصة ثلاث فرق من الكفار المتقدمين ومصارعهم وهم قوم عاد وهود وقوم فرعون على سبيل الإجمال، ولمزيد من التفصيل وبيان آيات الفجر فإننا نتلمسه من القرآن الكريم.

مصرع قوم عاد فى القرآن الكريم

عاد من العرب البائدة، وقد وردت فى القرآن أربعًا وعشرين مرة، ليس فيها إشارة إلى نسب عاد، أو تصريح باسم أبيه وجده، أو ولديه شديد وشداد، أو بيان لأطوال أجسام أو تحديد لأعمار، وإنما يأتى ذكر (عاد) دائماً لفتًا إلى ما كان من تكذيبها لنبيها هود، وطغيانها فى الأرض، وما سلط الله عليها من العذاب، وحق عليها من عقاب، فعاد فى القرآن هم قوم (هود)[1]، كان منزلهم (بالأحقاف) بعث الله أخاهم هودا رسولاً ونذيرًا: ﴿**وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ سورة الأحقاف/ ٢١.

ويقول فى سورة هود: ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ**﴾ هود/ ٥٠.

ويقول فى سورة الأعراف: ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ**﴾ الأعراف/ ٦٥.

فكذبوه: ﴿**قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ هود/٥٣.

(١) التفسير البيانى، ١٤٤/٢، د. بنت الشاطئ.

وقال تعالى: ﴿**قَالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِينَ**﴾ الأعراف/ ٦٦.

وذكرت قصة (عاد) مع هود فى سورة الأعراف من الآية الخامسة والستين إلى الآية الثانية والسبعين، وتتسم الآيات بالحوار والجدل، بين هود وقومه فكذبوه وأعرضوا حتى جاءهم العذاب، وقطع الله دابر الذين كذبوا المرسلين.

﴿**كَذَّبَتْ عَادٌ المُرْسَلِينَ**﴾ الشعراء/ ١٢٣.

ويقول تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ**﴾ ص/١٢، وقال تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ. وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ. وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ**﴾ سورة (ق)/ ١٢: ١٤.

وقال فى سورة القمر: ﴿**كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**﴾ (١٨).

وقال فى سورة الحج: ﴿**وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ**﴾ (٤٢).

وكفروا بالله وجحدوا آياته وعصوا:

يقول تعالى: ﴿**وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ. وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيَامَةِ أَلاَ إِنَّ عَاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ**﴾ هود/ ٥٩، ٦٠.

وجاءهم العذاب:

وقال تعالى: ﴿**فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ الأعراف/ ٧٢.

فأرسل عليهم الريح العقيم: ﴿**وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ. مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ**﴾ الذاريات/ ٤١، ٤٢.

والريح فيها عذاب أليم:

قال تعالى: ﴿**رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ. تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ**﴾ الأحقاف: ٢٤، ٢٥.

وأهلكوا بريح صرصر: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ. تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ**﴾ القمر: ١٩، ٢٠.

وقال: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ**﴾ فصلت: ١٦.

وقال تعالى: ﴿**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ. سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى القَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ. فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ**﴾ الحاقة: ٦-٨.

نكرت الريح فى سورة القمر وفصلت والحاقة، وعرفت فى سورة الذاريات، للإشارة إلى أن الريح الباردة الصرصر التى تهلك الحرث والنسل غير معهودة لدى العرب كثيرًا، فهى نادرًا ما تكون.

بخلاف الريح العقيم فهى معهودة لديهم، فالتعريف يتلائم مع المعروف من الريح وهى (العقيم)، والتنكير يتلاءم مع النادر فيها وهى (الصرصر) علىأن الريح العقيم هنا قد زادها القرآن بيانًا بقوله: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾[1].

ولقد صور القرآن الكريم فى آتيى القمر والحاقة مصرع قوم (عاد) وما آل إليه أمرهم بـ (أعجاز النخل) فى صورتين من (التشبيه) فقال (كأنهم أعجاز نخل منقعر). وهى (القعر)، وتدل على الاقتلاع من الجذور.

فالريح الصرصر العاتية هنا تقتلعهم وتهوى بهم فتقطع منهم الرؤوس والأيدى، وتفرغ ما فى أجوافهم حتى لا نرى فيهم بعد هذا أملاً فى الحياة.

وقال تعالى فى سورة الحاقة: (كأنهم أعجاز نخل خاوية)، فسورة الحاقة هنا فيما يبدو متممة لسورة إهلاك عاد فى (القمر) فبينما تركز سورة (القمر) على (بداية الاستئصال والإهلاك) تركز سورة (الحاقة) على (دوام العذاب وبيان سوء المصير).[2]

ولو تتبعنا قصة هذه الريح (الصرصر) مع عاد لوجدناها قد ذكرت فى هذه المواضع الثلاثة حسب الترتيب النزولى للقرآن الكريم فى سورة القمر أولاً ثم فصلت ثم الحاقة.

ومراعاة الترتيب النزولى يكشف لنا عن جانب من بلاغة (الآيات)، فآية القمر تدل على البداية حيث قد أرسل الله عليهم الريح

(١) ينظر من بلاغة القرآن، د. إبراهيم طه الجعلى، ص ١٥٧، ١٥٨.

(٢) ينظر من بلاغة القرآن، د. إبراهيم طه الجعلى، ص ص ١٤٩ – ١٥٨.

(الصرصر) فى هذا اليوم المشئوم (فى يوم نحس مستمر) ثم جاءت أية (فصلت) لتفيد أن تسليط هذه الريح عليهم قد استمر أيامًا نحسات فأثارت الغبار والتراب، فأذيقت عاد كأس الخزى والندامة فى الحياة الدنيا، أما فى الآخرة فينتظرهم عذاب أشد وأبقى.

ولما أبهمت آية (فصلت) هذه الأيام النحسات، جاء قوله تعالى: فى الحاقة ليحدد هذه الأيام بدقة متناهية فحدد الليالى بأنها سبعة، والأيام بأنها ثمانية، وهكذا نرى أن لكل آية ميزة تمتاز بها عن أختيها.(١)

مصرع قوم ثمود فى القرآن الكريم:

وثمود من العرب البائدة أيضًا، وزمنهم التاريخى تال لعاد قوم هود كالمفهوم من سياق الآيات: ﴿**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ**﴾ إبراهيم: ٩.

وقال: ﴿**وَعَاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ**﴾ الفرقان: ٣٨.

والعنكبوت ٣٨، وغافر ٣١، والنجم ٥١، والحج ٤٢، والتوبة ٧٠.

وجوهر قصتهم فيما نتلو من آيات الكتاب المحكم أنهم قوم صالح بعثه الله فيهم داعيًا إلى عبادة الله وحده، ما لهم من إله غيره.(٢)

قال تعالى: ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ الأعراف: ٧٣.

(١) ينظر من بلاغة القرآن، د. إبراهيم طه الجعلى، ص ص ١٥٨-١٦١.

(٢) ينظر التفسير البيانى، لبنت الشاطئ، ١٤٥/٢.

قال تعالى: ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ**﴾ هود: ٦١.

وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّـهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ**﴾ النمل: ٤٥.

فكذبوه وعقروا الناقة التى نهاهم عن ذبحها:-

قال تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ المُرْسَلِينَ**﴾ الشعراء: ١٤١.

قال تعالى: ﴿**فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ**﴾ الأعراف: ٧٧.

وقال تعالى: ﴿**فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا. وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا**﴾ الشمس: ١٤، ١٥.

وقال تعالى: ﴿**فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ**﴾ هود: ٦٥.

فاستحبوا العمى على الهدى:

قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ العَذَابِ الهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ فصلت: ١٧.

فجاءهم العذاب:

قال تعالى: ﴿**فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾ الشعراء: ١٥٨، ١٥٩.

وقال تعالى: ﴿**فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ. فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا**﴾ النمل: ٥١، ٥٢.

وأخذتهم الرجفة: ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾ الأعراف: ٧٨.

فأهلكوا بالطاغية: ﴿**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ**﴾ الحاقة: ٥.

فأخذتهم الصاعقة: ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ الذاريات: ٤٤.

وقال تعالى: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾ فصلت: ١٣.

وقال تعالى: ﴿**فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ**﴾ فصلت: ١٧.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ**﴾ القمر: ٣١.

مصرع قوم فرعون فى القرآن:

فرعون كان له قوة وجبروت، قال تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ**﴾ ص: ١٢.

ويعرف فرعون فى القرآن بأنه فرعون موسى، ولا يتعلق البيان القرآنى بتفصيلات عن اسم فرعون أو زمنه أو تاريخه، وإنما تتجه العناية إلى ما هو مناط عبرة من جوهر القصة. لقد تهيأ لفرعون من ملك مصر، وخيرات أرضها الطيبة، ما لم يتح مثله لملك غيره، وآتاه الله وملأه من فضله زينة وأموالاً[١].

(١) ينظر التفسير البيانى لبنت الشاطئ: ١٤٧/٢.

قال تعالى: ﴿**وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ يونس: ٨٨.

فعلا وتجبر وأسرف، يقول الله تعالى: ﴿**وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ المُسْرِفِينَ**﴾ يونس: ٨٣.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ المُفْسِدِينَ**﴾ القصص: ٤.

أخذته العزة بالإثم فطغى: ﴿**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾ طه: ٢٤.

وقال تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ النازعات: ١٧.

وتطاول وأمر (هامان) أن يبنى له صرحًا لعله يبلغ أسباب السماء: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ**﴾ غافر: ٣٦، ٣٧.

وقال تعالى: ﴿**فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الكَاذِبِينَ**﴾ القصص: ٣٨.

وحين دعاه موسى إلى عبادة رب العالمين، قال له وما رب العالمين؟؟ ونادى فى قومه. قال تعالى: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي**﴾ الزخرف: ٥١.

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا المَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي**﴾ القصص: ٣٨.

فأخذه الله أخذًا وبيلا: ﴿**فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً**﴾ المزمل: ١٦.

وابتلى بالسنين ونقص من الثمرات:

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ الأعراف: ١٣٠.

وتدمير ما كانوا يعرشون: ﴿**... وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ**﴾ الأعراف: ١٣٧.

وأخذهم أخذ عزيز مقتدر: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ. كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾ القمر: ٤١، ٤٢.

وقال تعالى: ﴿**وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ. فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً**﴾ الحاقة: ٩، ١٠.

المقطع الثالث

ابتلاء الله تعالى الإنسان

قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ. وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ**﴾ الفجر: ١٥، ١٦.

فى بداية هذا المقطع يقول تعالى منكرًا على الإنسان فى اعتقاده، فتوسعة الرزق ابتلاء واختبار لا يدل على إكرام من الله له، وأيضًا التضييق فى الرزق ابتلاء واختبار فى حين أن الإنسان يعتقد ذلك إهانة له من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ الأنبياء: ٣٥.

والمناسبة بين هذا المقطع والذى قبله (إنه تعالى لما ذكر ما حل بالطغاة المتكبرين ذكر هنا طبيعة الإنسان الكافر الذى يبطر عند الرخاء، ويقنط عند الضراء)[١].

ومناسبة الآية بما قبلها أنه تعالى قائم بمراقبة أحوال العباد جميعًا، ومجازاتهم بأعمالهم .. فالإنسان الجاحد لا يهمه ذلك، وإنما كل همه هى الدنيا وزخارفها.

والفاء فى (فأما) تفسيرية فإن الإكرام والتنعيم من الابتلاء[٢]. و(ال) لإفادة الجنس ويدل على العموم.

(١) صفوة التفاسير ٣/٥٥٧.

(٢) تفسير أبى السعود، ٥/٨٧٠.

وحذف المبتدأ (الإنسان) من الآية الثانية (وأما إذا ما ابتلاه فقدر) وكذلك قوله (ربه) للإيجاز، ودلالة الأول عليه، (لأن التقدير فى الثانى أيضًا وأما الإنسان فاكتفى بذكره فى الأول والفاء لازم بعده، لأن المعنى مهما يكن من شئ فالإنسان بهذه الصفة، لكن الفاء أخرت ليكون على لفظ الشرط والجزاء، وسر الشرط والجزاء بيان فهم الإنسان حكمة الله فيه، وأنه خاطئ فى نسبة الإهانة إلى الله، بل أهان الإنسان نفسه بعدم إكرام اليتيم، وعدم الحض على طعام المسكين عند الفقد)[١].

ويوضح الزمخشرى أن الآيتين متوازيتين من حيث إن التقدير: وأما هو إذا ما ابتلاه ربه، وذلك أن قوله: (فيقول ربى أكرمن) خبر المبتدأ الذى هو الإنسان ودخول الفاء لما فى "أما" من معنى الشرط، ويوضح الفخر الرازى سر التعبير بالفاء فى الأول (فأما الإنسان) وبالواو فى الثانية (وأما إذا ..) لأن رحمة الله سابقة على غضبه، وابتلاءه بالنعم سابق على ابتلائه بإنزال الآلام، والتعبير بـ (رب) دون لفظ الجلالة (الله) للإشعار بصفات الربوبية، فالله هو المربى الراعى لعباده.

وإضافة الضمير إلى (رب) للتأكيد بأن هذا الابتلاء من الله تعالى، والفاء فى قوله (فيقول) للتعقيب والترتيب وتفيد سرعة القول دون أن يتدبر السر الإلهى من وراء هذا.

(ربى أكرمن) أنكر الله تعالى ذلك على الإنسان؛ لأنه يقول ذلك على وجه الفخر والكبر، وكل ذلك منهى عنه، أما إذا قاله على وجه الشكر، والتحدث بنعمة الله تعالى، فليس بمذموم بل ممدوح.[٢]

(١) أسرار التكرار فى القرآن للكرمانى /٢١٨.

(٢) ينظر الكشاف، ٧٤٩/٤.

ووصل بين الآيتين "للتوسط بين الكمالين" فالمسند إليه واحد والمناسبة واضحة بالتضاد بين المعنيين الذى يوضح المعنى ويميزه.

وقوله (ربى أهانن) أنكر الله تعالى عليه- ذلك لأنه يقول على وجه التشكى من الله وقلة الصبر، وكان الواجب عليه أن يصبر على الشر.

وحذف الياء من أكرمن و(أهانن) للتخفيف. وتقديم (ربى) على الفعل (أكرمن) و(أهانن) لقصد تقوى الحكم، أى يقول ذلك جازمًا به غير متردد[١].

وبين الآيتين مقابلة لطيفة، حيث قابل بين النعمة والإكرام (ومعناه بسط الرزق). وتضييق الرزق والإهانة مما أعطى الكلام انسجامًا وتنغيمًا وعبر النظم الكريم بقوله (فقدر) دون (إهانه) المقابلة لـ (فأكرمه) لأن فى قوله (ربى أكرمن) صدقًا وأن هذا كرم من الله تعالى، أما فى قوله (ربى أهانن) فكذب وافتراء وجهل واعتقاد فاسد[٢].

وأوثر الفعل المضارع (فيقول) فى الجوابين لإفادة تكرر ذلك القول وتجدده كلما حصل مضمون الشرطين[٣]

١٧- ﴿كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ اليَتِيمَ﴾ الفجر آية ١٧:

(كلا) أداة ردع وزجر عما أنكر، قال الفراء: كلا فى هذا الموضع بمعنى أنه لم يكن ينبغى للعبد أن يكون هكذا، ولكن يحمد الله على الغنى والفقر، والجمع فى هذه الأفعال باعتبار معنى الإنسان، لأن المراد به الجنس، أى بل لكم أفعال هى أقبح مما ذكر[٤].

(١) التفسير الكبير ١٧١/٣١.

(٢) المرجع السابق، نفسه.

(٣) التحرير والتنوير، ٣٣١/٣٠.

(٤) فتح القدير للشوكانى، ٤٣٩/٥.

(بل لا تكرمون اليتيم) هذا ذم لما ذكر من الأعمال القبيحة، ومعنى هذا الإضراب بـ (بل) كأنه أنكر على الإنسان ما تقدم ثم قال، بل تفعلون ما هو شر من ذلك وهو (لا تكرمون اليتيم) وما ذكره بعده[١].

وفيه أمر بإكرام اليتيم، كما جاء فى الحديث الشريف: (عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: "خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه، ثم أشار بأصبعه، أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة، وقرن بين أصابعه الوسطى والتى تلى بين أصابعه الوسطى الإبهام)[٢].

والتفت فى الآية من الغيبة إلى الخطاب ليبيت سوء أفعاله بعد سوء أقواله، وهذا يقتضى ملاحظة جنايته السابقة لتوبيخه وتقريعه[٣]، والجمع باعتبار الجنس وفيه تأكيد للتشنيع.

١٨- قال تعالى: ﴿وَلاَ تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ﴾ الفجرة: ١٨

الحض على الأمر هو الترغيب فيه، وحضه على كذا: أى أغراه به (والطعام هنا بمعنى الإطعام، وقيل هو على حذف مضاف تقديره لا تحاضون على بذل طعام المسكين)[٤].

وأصل (تحاضون) (تتحاضون) فحذف منه التاء للتخفيف والمعنى لا يحض بعضكم بعضًا قال تعالى: ﴿**وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّماً. وَتُحِبُّونَ المَالَ حُباً جَماً**﴾ الفجر: ١٩، ٢٠.

١٩- ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّماً﴾

(١) كتاب التسهيل، ٣٨٤/٤.

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم، ٤٤٥/٤.

(٣) ينظر تفسير أبى السعود، ٨٧٠/٥.

(٤) كتاب التسهيل، ٣٨٤/٤.

والمراد أكل أموال اليتامى والنساء، وذلك لأنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان، ويأكلون أموالهم، ولا يسألون أهو من حلال أم من حرام؟ وتعريف التراث عوض عن المضاف إليه أى تراث اليتامى.

وأكل التراث ليس أسلوبًا حقيقيًا؛ لأن المال لا يؤكل بذاته، وإنما ما يشترى به من طعام وشراب، (والأكل مستعار للانتفاع بالشئ انتفاعًا لا يُبقى منه شيئًا، وأحسب أن هذه الاستعارة من مبتكرات القرآن إذ لم أقف على مثلها فى كلام العرب)[1].

والتعبير بـ (لما) تدل على الشدة، وجمع الشئ المتفرق، وهى تفيد معنى الحرص على جمع هذا المال من أى جهة سواء أكان من حلال أم من حرام، وكأنه يسعى لكى يلم هذا المال بيده، فاللفظ يصور لنا هذه المعانى، وكأن هذا الإنسان ماثلٌ أمام أعيننا ونراه وهو بهذه الحالة المذمومة البشعة.

ووصف الأكل بالمصدر للمبالغة أى أكلاً جامعًا:

٢٠- ﴿وَتُحِبُّونَ المَالَ حُباً جَماً﴾

وهذا ذم للحرص على المال وشدة الرغبة فيه.

الجم: الكثرة يقال جم الشئ، يقال ذلك فى المال وغيره، والمعنى ويحبون المال حبًا كثيرًا شديدًا مع حرص وشهوة.

والآية تبين مدى حرصهم على الدنيا فقط، وأنهم معرضون عن أمر الآخرة، فالجم مستعار لمعنى القوى الشديد، أى حبًا مفرطًا، لأن

(١) التحرير والتنوير، ٣٣١/٣٠.

الحب لا يوصف بالكثرة وإنما يوصف بالشدة، لأنه معنى من المعانى النفسية[١]

"كلمة [جما] وحيدة فى القرآن صيغة ومادة"[٢].

ووصل بين هذه الآيات الثلاث "للتوسط بين الكمالين "فقد جمع بين صفات مشتركة وكانت منتشرة فى المجتمع المكى، ولذلك وصل بين هذه الصفات المذمومة.

(وفى هذه الآيات فوق الكشف عن واقع نفوسهم تنديد بهذا الواقع، وردع عنه، يتمثل فى تكرار كلمة (كلا) كما يتمثل فى بناء التعبير وإيقاعه، وهو يرسم بجرسه شدة التكالب وعنفه)[٣].

وبين الآيتين سجع متوسط مرصع لأن أكثر الألفاظ فى القرينتين متفقة فى الوزن والتقفية الفاصلة[٤] ليست مجرد توافق ألفاظ:

ومن الباحثين من ينظر إلى الفاصلة - أو السجع - فى الكلام عامة على أنه مناسبة لفظية مرغوبة، ومطلوبة فى اللغة العربية، فهى تريح القارئ من البهر، وترشده إلى تلوين الصورة، وإجادة الوقف، وتزيده من روعة التلاوة، بما تخلع عليها من إيقاع محبب، وتمد القراء بألوان من التناغم المؤثر والتطريب الأخاذ.

(١) ينظر التحرير والتنوير، ٣٣٤/٣٠.

(٢) الإعجاز البيانى للقرآن، د. عائشة عبد الرحمن، /٤٨٧.

(٣) فى ظلال القرآن: ٣٩٠٦/٦.

(٤) الفاصلة كلمة "آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع، وقال القاضى أبو بكر: الفواصل حروف متشاكلة فى المقطع يقع بها إفهام المعانى) الإتقان للسيوطى، ٢٩٠/٣.

وهذا إن صدق فى سجع الكتاب، فلا يصدق إطلاقًا على الفاصلة فى القرآن الكريم، فعلينا ألا ننظر إلى بلاغة الفاصلة فى القرآن هذه النظرة المحدودة التى لا تكاد تتجاوز الألفاظ والصيغ، فإن هذه الصورة اللفظية الحسية مع جمالها لا يصح أن تصرفنا، ولا تحجب عن ذهننا ما استتر فيها من بدائع الأسرار ودقائق الأغراض، فالفاصلة فى القرآن الكريم لها مزية هامة ترتبط بما قبلها من الكلام بحيث تنحدر على الأسماع انحدارًا، وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيدًا لها، وبحيث إذا حذفت لاختل المعنى فى الآية، ولو سكت عنها القارئ لاستطاع السامع أن يختمه بها انسياقًا مع الطبع والذوق السليم)[1].

(١) من أسرار التعبير فى القرآن، الفاصلة القرآنية، ٣٧، ٣٨.

المقطع الرابع

من مشاهد يوم القيامة

قال تعالى: ﴿**كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكاً دَكاً. وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً. وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى. يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي. فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ. وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ**﴾ الآيات من ٢١: ٢٦ الفجر.

(كلا) ردع وزجر وإنكار لفعلهم، وهى بمعنى حقًا، تفيد تأكيد هذا الأمر المنكر به، أى لا ينبغى أن يكون الأمر هكذا فى الحرص على الدنيا فإن من كان هذا حاله يندم حين لا تنفعه الندامة[١].

(إذا دكت الأرض دكا دكا) استئناف ابتدائى انتقل به من تهديدهم بعذاب الدنيا الذى فى قوله (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) إلى الوعيد بعذاب الآخرة[٢].

ودك الأرض: تحطيم معالمها وتسويتها، أى زلزلت حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم، حتى صارت هباء منبثًا.

والتكرار فى (دكا دكا) للتأكيد اللفظى، وهو من طرق الإطناب[٣]، بالزيادة. وهذا الدك يكون بعد الزلزلة يقول تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ.**

(١) ينظر التفسير الكبير، ١٧٣/٣١، والبرهان للزركشى، ٣١٤/٤.

(٢) التحرير والتنوير، ٣٣٥/٣٠.

(٣) ويقسم السيوطى الإطناب إلى نوعين:-

١- الإطناب بالبسط وهو الإطناب بتكثير الجمل.

٢- الإطناب بالزيادة، وهو إما بزيادة حرف فأكثر من حروف التأكيد وإما بدخول الأحرف الزائدة، وإما بالتأكيد المعنوى أو اللفظى.

الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى، ١٩٢/٣: ١٩٨.

تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ النازعات: ٦، ٧. وقال: ﴿**وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً**﴾ الحاقة: ١٤. وقال: ﴿**إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجاً. وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَساً**﴾ الواقعة: ٤، ٥.

والتنكير فى (دكا دكا) للتعظيم والتهويل من أمر الدك.

قال تعالى: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً**﴾ الفجر: ٢٢.

أى جار أمر ربك بالمجازاة، وقهر ربك وجلائل آيات ربك، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وتقدير (المضاف) على وجوه[١]:

١- وجاء أمر ربك بالمحاسبة والمجازاة.

٢- جاء قهر ربك كما يقال جاءتنا بنو أمية أى قهرهم.

٣- جاء جلائل آيات ربك، لأن هذا يكون يوم القيامة، وفى ذلك اليوم تظهر العظائم وجلائل الآيات، فجعل مجيئها مجيئًا له تفخيمًا لشأن تلك الآيات.

٤- وجاء ظهور ربك، وذلك لأن معرفة الله تصير فى ذلك اليوم ضرورية فصار ذلك كظهوره وتجليه للخلق.

٥- أن هذا تمثيل لظهور آيات الله وتبين آثار قهره وسلطانه، مثلت حاله فى ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه، فإنه يظهر بمجرد حضوره من آثار الهيبة والسياسة مالا يظهر بحضور عساكره كلها.

٦- أن الرب هو المربى، ولعل ملكًا وهو جبريل أعظم الملائكة هو مربى النبى ﷺ جاء فكان هو المراد من قوله: (وجاء ربك).

(١) التفسير الكبير ١٧٣/٣١، ١٧٤.

والتعبير بالفعل الماضى (وجاء) لتحقق الوقوع، واستشعار الهيبة والعظمة فى هذا اليوم العظيم.

والتعبير بلفظ (رب) لبيان أن الله هو المربى والداعى لخلقه وفيه استشعار لكل معانى التربية والرعاية، وإضافة الضمير للتشريف، وتنكير (صفًا صفًا) للتكثير أى صفوفًا كثيرة لا نهاية لها.

قال تعالى: ﴿**وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى**﴾ الفجر: ٢٣.

أى وأحضرت جهنم ليراها المجرمون كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ لِمَن يَرَى**﴾ النازعات: ٣٦.

ففى هذا اليوم الرهيب والموقف العصيب، يتذكر الإنسان عمله أو يندم على عصيانه، ويطلب التوبة، ولكن بعد فوات الأوان.

(يومئذ) بدل من "إذا دكت" والعامل: يتذكر الإنسان أى يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله(١).

(وأنى له الذكرى) اعتراض جئ به لتحقيق أنه قد مضى عهد الذكرى، فما عادت تجدى هنا فى دار الجزاء أحدًا، وإن هى إلا الحسرة على فوات الفرصة فى دار العمل فى الحياة الدنيا، والتحسر فيه معنى الندم والإقرار بأن ما فات لن يعود أبدًا، والاستفهام هنا للاستبعاد(٢).

ويذكر الفخر الرازى فى تذكره وجوها(٣)

(١) ينظر تفسير أبى السعود ٨٧١/٥.

(٢) فى ظلال القرن ٣٩٠٦/٦، والإتقان ٢٣٩/٣.

(٣) التفسير الكبير ١٧٤/٣.

١- أنه يتذكر ما فرط فيه، لأنه حين كان فى الدنيا كانت همته تحصيل الدنيا، ثم فى الآخرة حين يتذكر ذلك كان ضلالاً؛ وكان الواجب عليه أن تكون همته تحصيل الآخرة.

٢- أن يتذكر أى يتعظ، والمعنى أنه ما كان يتعظ فى الدنيا فيصير فى الآخرة متعظًا فيقول ﴿**يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا**﴾ الأنعام: ٢٧.

٣- يتذكر يتوب وهو مروى عن الحسن ثم قال تعالى: ﴿**أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ**﴾. الدخان: ١٣.

وحذف المضاف هنا والتقدير ومن أين له منفعة الذكرى[١].

يقول الإمام عبد القاهر عن فضيلة الحذف: (هو باب دقيق المسلك لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تبن)[٢].

والفواصل فى هذه الآيات اتسمت بالحدة الشديدة، وهذا مناسب للموقف الرهيب الذى ترجف له القلوب، وتخشع له الأبصار، فالأرض تدك دكا دكا، والله الواحد الأحد المتكبر يتجلى ويتولى الفصل وتقف الملائكة صفًا صفًا، ثم يجاء بجهنم فتقف مستعدة ومتأهبة.

قال تعالى: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ الفجر: ٢٤

الجملة مستأنفة وهى جواب لسؤال مقدر كأنه قيل: ماذا يقول هذا الإنسان؟ وهذا يسميه البلاغيون (شبه كمال الاتصال)[٣].

---

(١) كتاب التسهيل للعزناطى ٣٨٥/٤.

(٢) دلائل الإعجاز /١٧٠.

(٣) أن تكون الجملة الثانية جوابًا لسؤال اقتضته الجملة الأولى، عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص، ٥٣/٣.

ومفعول (قدمت) محذوف للإيجاز. واللام فى (لحياتى) بمعنى من أجل حياتى والمراد حياة الآخرة، فإنها الحياة الحقيقية، فأنها دائمة غير منقطعة، وقيل أن اللام بمعنى (فى) أى فى الحياة الدنيا والأول أولى[١] لأن الدنيا رحلة عابرة لحياة فانية.

وقال (لحياتى) ولم يقل (لهذه الحياة) على معنى أن الحياة كأنها ليست إلا الحياة فى الدار الآخرة، يقول تعالى: ﴿**يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**﴾[٢].

ودخول (يا) التى لنداء البعيد على (ليت) التى تفيد التمنى للشئ المستحيل، فقد صار أمنية مستحيلة بعيدة المنال، وهى أمنية تفيد الحسرة الظاهرة، وهو كل ما يملكه الإنسان فى الآخرة.

قال تعالى: ﴿**فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ. وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ**﴾ الفجر: ٢٥، ٢٦. فى الآيتين الكريميتين يصور الله تعالى مصير الكافر بعد أن صور حسرته وتمنياته الضائعة أى لا يتولى عذابه ووثاقه أحد إلا الله تعالى، إذ الأمر كله له، وهذا على قراءة الجمهور، يُعذب، يُوثق، مبنيين للفاعل، وعلى هذا ففيه معنى القصر، حيث أثبت العذاب الوثاق لذاته تعالى دون غيره من الملائكة، مبالغة فى كنه العذاب وشدته، ويبلغ به الترويع منتاه فى هذا الموقف الرهيب.

وقرأ الكسائى على البناء للمفعول فيهما فيكون الضميران راجعين إلى الإنسان:

(١) فتح القدير للشوكانى ٥/٤٤٠.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

أى لا يعذب كعذاب ذلك الإنسان أحد ولا يوثق لوثاقه أحد، والمراد بالإنسان الكافر لتناهيه فى كفره وفساده[1].

والتعبير بقوله (فيومئذ) يفيد النتيجة الحتمية لمصير هذا الكافر، وتكرار لفظ (أحد) مع أنه يمكن لاستغناء عنه للتأكيد، فالله تعالى يعذب ويوثق من كانوا يعذبون الناس ويوثقونهم، ولكن شتان ما بين عذاب وعذاب !! ووثاق ووثاق !!

(١) ينظر تفسير أبى السعود ٥/٨٧١، وفتح القدير ٥/٤٤٠، والتفسير الكبير ٣١/١٧٥.

المقطع الأخير

خطاب إلى النفس المطمئنة

قال تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ الفجر: ٢٧-٣٠.

لما ذكر تعالى من حكاية أحوال الأشقياء، ذكر بعض أحوال السعداء، فينادى تعالى النفس المؤمنة الموقنة بالإيمان وتوحيد الله[١].

والنداء (يا) هنا التى للبعيد مع أن النفس قريبة من الله تعالى تنزيلاً لبعد المكان منزلة بُعد المكانة لرفعة منزلتهم ومكانتهم عند الله تعالى. والنفس هنا المراد بها العموم.

والله تعالى ذكر مطلق النفس فى القرآن فقال: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا**﴾ الشمس: ٧.

وقال: ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾ المائدة: ١١٦.

وقال: ﴿**فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾ السجدة: ١٧.

وتارة وصفها بكونها أمارة بالسوء، فقال ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾ يوسف: ٥٣. وتارة بكونها لوامة فقال: ﴿**وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾ القيامة: ٢. وتارة بكونها مطمئنة كما فى هذه الآية الكريمة لأن النفوس ثلاثة:

١- النفس المطمئنة: هى نفوس المقربين السابقين.

(١) ينظر فتح القدير ٥/٤٤٠.

٢- النفس اللوامة: هى نفوس المؤمنين أصحاب اليمين.
٣- النفس الأمارة: هى نفوس العصاة الكافرين أصحاب الشمال.

ولعل فى آيات صدر سورة الواقعة ما يشير إلى هذه الطوائف الثلاثة: ﴿**وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاثَةً. فَأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ المَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ المَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُوْلَئِكَ المُقَرَّبُونَ**﴾ الواقعة: ٧: ١١.

وأكدت خاتمة سورة الواقعة مصائر هذه الطوائف الثلاثة: ﴿تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ. فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ. وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ. فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ. وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ. فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ. وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ. فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ﴾ الواقعة: ٨٧- ٩٦.

(المطمئنة) الاطمئنان هو الاستقرار والثبات، أى هى النفس المؤمنة المطمئنة إلى الحق الواصلة إلى ثلج اليقين، بحيث لا يخالجها شك، التى لا يستفزها خوف ولا حزن)[١].

(ووصف النفس) المطمئنة/ ليس وصفًا للتعريف ولا للتخصيص أى تمييز المخاطبين بالوصف الذى يميزهم عمن عداهم فيعرفون أنهم المخاطبون المأذونون بدخول الجنة لأنهم لا يعرفون أنهم مطمئنون إلا بعد الإذن لهم بدخول الجنة، فالوصف مراد به الثناء والإيماء إلى وجه بناء الخير وتبشير من وجه الخطاب إليهم بأنهم مطمئنون آمنون، ويجوز

(١) ينظر تفسير أبى السعود ٥/٨٧٢.

أن يكون للتعريف أو التخصيص بأن يجعل الله إلهامًا فى قلوبهم يعرفون به أنهم مطمئنون)[١].

(ارجعى إلى ربك راضية مرضية) إلى ربك بما بينك وبينه من صلة ومعرفة، أى راضية بالثواب مرضية عنك فى الأعمال التى عملتها فى الدنيا.

والتعبير بلفظ (رب) لاستشعار صفات الربوبية ونكتة الإظهار لما فيه من الولاء والاختصاص، وما فى إضافته إلى ضمير النفس المخاطبة من التشريف لها.

(فادخلى فى عبادى) الفاء تفيد الترتيب والتعقيب فى سرعة، أى انضمى إلى عبادى المقربين وهذا الانضمام يكون لتكامل تلك السعادات وتعاظم تلك الدرجات الروحانية.

(وادخلى جنتى) إشارة إلى السعادة الجمسانية.

وعبر بالفاء فى قوله (فادخلى فى عبادى) لأن الجنة الروحانية غير متراخية عن الموت فى حق السعداء .

وذكر الواو فى (وادخلى جنتى) لأن الجنة الجسمانية لا يحصل الفوز بها إلا بعد قيام القيامة الكبرى - ولذلك ذكر الواو هنا، والفاء هناك[٢]

وإضافة (جنة) إلى ضمير الجلالة إضافة تشريف .

وكرر فعل (ادخلى) للاهتمام بالدخول تحقيقا للمسرة والسعادة.

وهكذا نلمح من هذا المشهد العطف والقرب من الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين والتكريم والروحانية والثناء، والاطمئنان، والتعاطف والرضى، إنها عطفة تتسم فيها أرواح الجنة منذ النداء الأول: (

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٣٤٣.

(٢) ينظر التفسير الكبير : ٣١/١٧٨ .

يا أيتها النفس المطمئنة) ثم تمضى الآيات تباعا تغمر الجو كله بالأمن والرضى والطمأنينة، والموسيقى الرخية الندية حول المشهد ترف بالود والقربى والسكينة[1].

(١) ينظر فى ظلال القرآن : ٣٩٠٧/٦ .

الخاتمة

١- لكل مقام مقال:

افتحت السورة - كما ترى - بالقسم، وهو مناسب للحال، فالمقام والسياق هو الذى طلب هذا الافتتاح، لتخويف كفار مكة، فناسبة القسم، وسوق الأدلة المادية على وحدانية الله تعالى، وصدق الرسالة والرسول.

(قال أهل البيان، من البلاغة حسن الابتداء، وهو أن يتأنق فى أول الكلام لأنه ما يقرع السمع... وقالوا - وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها)[١]

واختتمت السورة بنهاية متضمنة للمعانى الجليلة البديعة بتبشير النفس المؤمنة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لايبقى معه للنفوس تشوق إلى ما يذكر بعد، فكانت الخاتمة فى غاية الحسن والبلاغة فهى آخر ما يقرع الأسماع.

٢- تنوع الفواصل بتنوع المعانى

بناء الفاصلة فى فاتحة السورة على حرف الراء يناسب هذا المطلع الندى بمشاهدة الكونية الرقيقة، وفى ظل العبادة والصلاة فى ثنايا تلك المشاهد (والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر .....).

ثم الانتقال إلى فاصلة (الدال) التى قبلها حرف المد (الألف) مناسب لمصارع الغابرين فى السورة.

ونجد فى بعض المشاهد قوة وعنفا كهذا المشهد العنيف المخيف (كلا، إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا).

(١) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى : ٣/٣١٧.

ثم ترى الانتقال من الفاصلة العنيفة إلى فاصلة فيها نداوة ورقة، ورضى يفض طمأنينة تتناسق فيها المناظر والأنغام كهذا الختام (يا أيتها النفس المطمئنة).

ومن هذا تبدو الألوان المتعددة فى مشاهد السورة، كما يبدو تعدد نظام الفواصل بحسب تنوع المعانى والمشاهد، فالسورة من هذا الجانب نموذج واف لهذا الأفق من التناسق الجمالى فى التعبير القرآنى.

٣- حركة المعنى داخل السورة

هذا باب من أخفى أبواب البلاغة، ومن وجوه إعجاز وبلاغة القرآن الكريم، حركة المعنى التى تمتد من المطلع إلى الخاتمة، فالتسلسل والتناسق والترتيب العجيب الغريب من المطلع إلى الخاتمة تقف أمامه عاجزا ساجداً للمبدع الخالق فسبحان الله الواحد الأحد.

٤- الإيجاز البديع

الإيجاز البديع العجيب فى السورة كلها، فعلى قصر السورة، إلا أن المعانى التى وردت فيها كثيرة جدا من سوق الدلائل الكونية، وذكر مصارع قوم عاد وثمود وقوم فرعون، وبيان مآل الفئة الكافرة ومآل الفئة المؤمنة المطمئنة.

٥- عرض القصة الواحدة فى مواضع متعددة بأساليب مختلفة:

إن القرآن الكريم يعرض القصة الواحدة فى مواضع متعددة بأسلوب معجز، وهذا من إعجاز القرآن الكريم.

وبعد ...،

فهذا جهد المقل وبضاعة العاجز، فإن وفقت فالفضل إلى الله يرجع، وإن تكن الأخرى فحسبى أننى اجتهدت.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ....

أهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- الإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٣- أحكام القرآن لابن عربى، تحقيق على محمد البجاوى، (ط) الأولى، مكتبة عيسى الحلبى.

٤- أساس البلاغة للزمخشرى، دار صادر.

٥- أسرار ترتيب القرآن للحافظ جلال الدين السيوطى، تحقيق - عبد القادر أحمد عطا، (ط) الثانية، ١٣٨٩ هـ - ١٨٧٨دار الاعتصام.

٦- أسرار التكرار فى القرآن للكرمانى، تحقيق - عبد القادر أحمد عطا، (ط) الثالثة، ١٣٨٩ هـ - ١٨٧٨دار الاعتصام.

٧- أضواء البيان فى إيضاح القرآن، الشنقيطى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

٨- الإعجاز البيانى للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د . عائشة عبد الرحمن، دار المعارف بمصر.

٩- البرهان فى علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد عبد الله الزركشى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجبل، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٠- بغية الإيضاح - لعبد المتعال الصعيدى..

١١- البلاغة القيمة لآيات القرآن الكريم، جزء عم، د. عبد القادر حسين.

١٢- البيان فى غريب إعراب القرآن، ابن الانبارى، الهيئة العامة المصرية للكتاب، تحقيق د . طه عبد الحميد طه، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

١٣- تفسير أبى السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الفكر.
١٤- التفسير البيانى للقرآن الكريم، د . عائشة عبد الرحمن،(ط) الثانية، دار المعارف بمصر.
١٥- تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.
١٦- تفسير القرآن العظيم للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير، دار القلم، بيروت، لبنان .
١٧- التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى، دار إحياء التراث العربى، (ط) الثالثة.
١٨- الجواهر فى تفسير القرآن الكريم المشتمل على عاجائب روائع المكنونات وغرائب الآيات الباهرات، تأليف الأستاذ الحكيم الشيخ/ طنطاوى جوهرى، (ط) الثانية، ١٣٥٠ هـ ، مكتبة الحلبى بمصر.
١٩- الدر المنثور فى التفسير المأثور، جلال الدين السيوطى، بيروت .
٢٠- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى تحقيق د . محمد عبد المنعم خفاجى ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م - مكتبة القاهرة .
٢١- شروح التلخيص، دار السرور، بيروت، لبنان .
٢٢- صفوة التفسير للصابونى، الأستاذ محمد على الصابونى، دار الرشيد، سوريا، حلب.
٢٣- فتح الرحمن بكشف ما يتلبس فى القرآن للإمام ابى يحى زكريا الأنصارى، تحقيق الشيخ محمد على الصابونى، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٢٤- فتح القدير للشوكانى، (ط) الثانية، مطبعة الحلبى القاهرة.

٢٥- فى ظلال القرآن، الشيخ العلامة - سيد قطب، دار الشروق، (ط) (١٢)، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦ م.
٢٦- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، الإمام الحافظ أبى القاسم محمد بن أحمد الغرناطى، تحقيق: محمد عبد المنعم اليونسى - إبراهيم عطوة عوض ، دار الكتب الحديثة.
٢٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، للإمام محمد بن عمر الزمخشرى، دار الكتاب العربى.
٢٨- متشابه القرآن للقاضى عبد الجبار بن احمد الهمدانى، تحقيق د. عندنا محمد زرزور، دار التراث.
٢٩- المعجم المفهرس لآيات القرآن، محمد فؤاد عبد الباقى، دار الفكر، ١٤٠١هـ.
٣٠- من أسرار التعبير القرآنى، الفاصلة القرآنية، د . عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.
٣١- من بلاغة القرآن الكريم، د. إبراهيم طه الجعلى، ١٩٩١م، (ط) الأولى، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ١٤١٢ هـ. ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م.